

وضع اللغة العربية في الجزائر

سيتواح يمينية

1- نبذة تاريخية عن اللغة

2- التعريب

أ- نبذة تاريخية عن اللغة العربية :

أ- اللغة العربية اثناء الاستعمار

كانت اللغة العربية اثناء الاحتلال الفرنسي غريبة في ديارها (1) مستبعدة عن الحياة العامة ، في حين كانت اللغة الفرنسية تحتل المرتبة الاولى والاخيرة . ولقد لخص الدكتور احمد بن نعمان هذه الفكرة قائلا : (2)

« يهدف الاستعمار الفرنسي الى جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي ارضا ولغة وثقافة ودينا ، وقد انتهج لذلك سياسة الفرنسية . والفرنسية هي احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان والثقافة ، وينقطع عن تاريخه ويذوب في بوتقة الامة الفرنسية ».

وكان هذا سبب ناجع في جعل الفرنسية اللغة الرسمية ، اي لغة المعاملات في المحافل الرسمية والمناسبات ولغة الصحافة والاعلام والتعليم (3).

لقد سميت الجزائر « بالجزائر الفرنسية »، كما عدّ الشعب الجزائري مجتمعا فرنسيا من الطراز الثاني (4).

وبذل الفرنسيون بعد ذلك قصارى جهدهم من اجل فرنسا الشعب الجزائري.

اما اللغة العربية فكان استعمالها ممنوعا بشكل رسمي وممنوع تدريسها حتى لا بناء الشعب الجزائري الا صليين (5).

وادى هذا الحرمان بالمواطنين العرب الى التلهّف على لغتهم تلهفا كاد ان يكون تقديسا وتبجيلا . ونتج عن هذا كله ان اتخذت الثورة الجزائرية اللغة العربية احد مبادئها الاساسية التي تكافح من اجلها (6).

ومن النصوص الاساسية التي اعلنت عنها جبهة التحرير الوطني في مؤتمر الصومام في 20 اوت 1956، نص يخص اللغة العربية وهو :

« ستكون الثقافة الجزائرية ثقافة وطنية . . . أن دورها كثقافة وطنية يتمثل في مرحلة اولى في اعطاء اللغة العربية المعبرة الحقيقية عن القيم الثقافية لبلادنا كرامتها ونجاحاتها كلغة حضارة (7) ».

ولذلك كانت اللغة العربية تدرس سريّا في بعض المدارس الخاصة وتستهمل في المساجد والزوايا محاولة في ابقائها والمحافظة عليها من الضياع (8).

ب- العربية بعد الاستقلال :

خرج الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي سنة 1962 وقد مر عليه زمن طويل من السبات الفكري العميق . اذ قضى عليه الاستعمار بالجهل والا مية خلال 130 سنة .

لم يحظ الجزائريون بالتعليم مثل غيرهم من الفرنسيين والمعمرين ، ولذا كانت حصة المتعلمين العرب غداة الاستقلال ضعيفة جدا .

يقدّر الباحثون هذه النسبة باعداد متفاوتة قليلا فيما بينها . فلقد قيمتها « كريستيان سوريوب (C.S) 15 بالمائة اي ان نسبة المتعلمين من الشعب هي 15 بالمائة فقط (9) ».

ويرى احمد بن نعمان انها لا تتجاوز 10 بالمائة من العدد الاجمالي من الشعب الجزائري .

وذهب عبد الرحمن سلامة ابن دويمة الى القول ان نسبة المتعلمين لم تتعد 2 بالمائة من الشعب الجزائري برمته ، وان 98 بالمائة منهم اميون (11) ومهما تعددت النسب ، فان الباحثين متفقون جميعا على القول ان وضعية الجزائريين العلمية والثقافية في 1962 كانت وضعية سيئة للغاية ، وان عدد المثقفين باللغة العربية من نسبة المثقفين الاجمالية قليل جدا . وبمجرد ما استقلت البلاد بدأ الاهتمام والعناية باللغة العربية . وشرع في مرحلة تحرير اللسان باسترجاع اللغة العربية مكانتها وذلك بواسطة التعريب .

2- التعريب في الجزائر

أ- تعريف التعريب :

تتمثل عملية التعريب في ثلاثة امور :

1- احلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية بمعنى ابدال اللغة

الفرنسية باللغة العربية في كل المجالات التي توجد فيها اللغة الفرنسية ويعني هذا نقل العلوم والمعارف من اللغة الأجنبية الى اللغة العربية (12)

2- ادخال اللغة العربية الى ميادين جديدة تماما او حديثة العهد حتى على اللغات الأجنبية مثل علوم الاعلام الى .

3- توفير الوسائل المادية والظروف المعتبرة التي بدونها يتعذر التعريب في بعض المجالات ، ويستحيل في ميادين أخرى .

اما اللغات الأجنبية وعلى رأسها اللغة الفرنسية فتبقى تحتفظ بمهمة تكميلية نظرا للأسباب التاريخية والحضارية التي تربط الجزائر بفرنسا (13)

ب- تطبيق وتحقيق عملية التعريب :

ان اول خطوة حقيقية قام بها انصار التعريب في العالم العربي هي عقد ندوة للتعريب في سنة 1961 في مدينة الرباط بالمغرب الأقصى ، وذلك باشراف جامعة الدول العربية ، ولقد نتج عن هذه الندوة تأسيس مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي . وتلى هذه الندوة مؤتمر دولي في الجزائر في 1973 وذلك تحت رعاية الجامعة العربية ايضا . وفي سنة 1975 انعقدت ندوة وطنية للتعريب باشراف جبهة التحرير الوطني في ذلك الوقت (14)

واصبح التعريب اثر هذه الندوة قرارا سياسيا لا جدال فيه وقد نص عليه في الميثاق الوطني في 1976 (15)

وبعد ذلك بقليل تكونت لجنة تشرف على انجاز مهمة التعريب الكبيرة وقامت هذه اللجنة بوضع برنامج لتحقيقه ، وقسمت مراحل انجاز التعريب الى ثلاثة اقسام ، قسم اول عاجل ، وقسم ثان متوسط الاجل ، وقسم ثالث آجل يحقق في المدى البعيد .

وقيدت هذه اللجنة ايضا مختلف الميادين التي سيمسها التعريب ، وحددت المجالات والسبل التي ستتبع في هذه العملية . وشرع بعد ذلك مباشرة في انجاز مشروع التعريب ويمكننا سرد بعض النماذج او الميادين التي ادخلت عليها العربية :

تعريب التعليم (16) :

تمثل عملية تعريب التعليم في ادخال العربية الى مختلف مراحلها اضافة الى توفير ما يقتضيه هذا العمل من وسائل بشرية كاعداد الاطارات اللازمة ، وتحضير الوسائل التعليمية والتربوية مثل تاليف الكتب واقامة مناهج التدريس وطرقه .

لقد ادخلت العربية ايضا الى عالم الصحافة والاعلام والمحيط الاجتماعي اذ عبرت الاعلانات وواجهات المحلات والمؤسسات المختلفة (17)

لقد عرب ايضا مجال القضاء (18) والادارة والمصالح العامة مثلما اتخذت اجراءات عديدة قصد الوصول الى تعريب الشركات والمصانع (19) وظهرت هنا وهناك اقسام لمحو الامية وتعليم اللغة العربية للكبار (20) .

.. هناك نشاطات اخرى برزت في ظل التعريب منها :

اعمال لغوية محضه تهدف الى تسير نشر اللغة العربية مثل تاليف الكتب المدرسية الموجهة للتعليم الا ابتدائي والا عداوي والثانوي ككتب القراءة والنصوص، وكتب الصرف والنحو، والتاريخ والجغرافيا ودراسة الوسط والرياضيات وغيرها من الكتب مع العلم ان هذه المؤلفات كانت غير موجودة قبل الشروع في حملة التعريب (21)

وفيا ظهر ايضا، اجتهادات لغوية من نوع اخر، وذلك انه قامت بعض المؤسسات والشركات بتاليف معاجم، وارصدة لغوية صغيرة خاصة بالمصطلحات العلمية والتقنية. وكان الهدف من هذه الارصدة سد الفراغ اللغوي، وتسهيل التعامل باللغة العربية داخل المؤسسات نفسها وخارجها. ويمكن ان ندرج نموذجا من هذه المعاجم الخاصة : « القاموس مزدوج اللغة » الذي افته الشركة الوطنية لاشغال التركيب الكهربائي، ولقد انتجته مصلحة هذه الشركة الخاصة بالتكوين والتابعة الى مديرية موظفيها (22).

والمعجم الصغير هذا، هو عبارة عن قائمة الفاظ فرنسية تقابلها قائمة الفاظ « عربية ». وهي مصطلحات تهم الكهربائي في معظمها. ومن الاعمال التي انتجت في اطار التعريب انجاز الرصيد اللغوي المغربي الذي سعت الى تحقيقه لجان ثلاث من الجزائر وتونس والمغرب وبإشراف من معهد اللسانيات والصوتيات بجامعة الجزائر. وسمي هذا العمل بـ « الرصيد اللغوي الوظيفي » وهو موجه للمرحلة الابتدائية من التعليم العام (23).

ولقد استفادت المدرسة الجزائرية من هذا الرصيد اللغوي الوظيفي، اذ وضع تحت تصرف المربين والموظفين بالتعليم الا ابتدائي و ادت حركة التعريب ايضا الى تنشيط الية الترجمة التي اتسع مجالها شيئا فشيئا الى ان تحصلت على مكانة هامة في القضاء والا دارة والصحافة والتعليم العالي، فالطالب الجامعي وخاصة الطالب المعرب مضطر لترجمة معلوماته من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية التي يُزاول بها دروسه. فهو ياخذ منها الكتب الاجنبية ما يحتاج اليه من مادة يثري بها دراسته ويبحثه ويضطر الصحافي من جهته الى ترجمة الاخبار الكثيرة التي تصل اليه باللغات الاجنبية.

ج- مشكلات التعريب في الجزائر

لم يكن الطريق الذي سلكه التعريب في بلادنا طريقا سلسا وميسورا، كما لم تكن محاولة الوصول الى تحقيقه من الامور الهينة لقد عاقه في مسيرته مصاعب همة اسبابها متنوعة ومتشعبة، نحاول نحن هنا ذكر قسط منها لان غيرنا تعرض لها بالدراسة الكاملة (24)

يمكن تصنيف العراقيل التي اعترضت طريق التعريب الى قسمين كبيرين :

1- يكمن الجزء الاول منها في اصدار الامر بالتعريب اصدارا اداريا بعيدا عن الواقع الاجتماعي والثقافي الجزائري،.

2- وأما القسم الثاني فيعود إلى السرعة في تنفيذ أمر التعريب، وفي التعجيل في تطبيقها دون سابق دراسة أو تخطيط جاء التعريب إذن أمرا مفروضا بتعليمات رةاسية (25) ووزارية.

فقد كان المقررون يصدرن تعليمات ومراسيم إدارية (26)، ويلقونها على عاتق المعنيين بالأمر لتطبيقها أي لتحقيق التعريب وتجسيده.

يجب أن نلاحظ أن الشخص المكلف بالتعريب ليس بالضرورة استاذا في اللغة العربية، بل كثيرا ما كان ذا المام بسيط بها، والسبب هو قلة الأ طارات المعربة آنذاك. ولذلك وجد هذا الشخص المكلف بتحقيق التعريب نفسه أمام وضعيتين:

1- حالة أولى: العمل فيها متوفر ولكن اتسجازه يتم باللغة الفرنسية.

2- حالة ثانية: العمل فيها منعدم من ذي قبل. أي أنه جديد على المغرب تماما.

يتمثل عمل المغرب في الوضعية الأولى في تنفيذ العمل في حد ذاته ثم ترجمته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. فالمحامي مثلا يقوم بتحضير مرافعاته ثم يترجمها من اللغة الفرنسية التي أعدها إلى اللغة العربية التي يرفع بها.

ويجسم الأمر في هذه القضية الدكتور بوعلام بن حمودة في محاضرة ألقاها في الندوة الوطنية للتعريب (27)

«... أصدرنا في 15 سبتمبر 1971 منشورا يأمر باستعمال اللغة العربية في الجلسات والمحاضرات والمرافعات... ويرفض مذكرات المحامين أن لم تكن مكتوبة باللغة الوطنية...»

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو:

كيف يمكن لهذا المحامي أن يترجم مذكراته من لغة يتقنها يعمل بها إلى لغة قد يجهلها أو يعرف منها نذرا قليلا لا يسمح له بتأدية واجبه جيدا؟ وكيف يستطيع الوصول إذن إلى تحقيق وتنفيذ القرار الوزاري الذي يجبره على استعمال اللغة العربية في أعماله القضائية؟

وما يقال عن القضاء والعدالة يقال عن الإدارة والصحافة وعن مختلف المؤسسات والشركات التي تعمل بالفرنسية.

ومن أوجه التناقض بين الأمر الإداري والتنفيذ الفعلي. إذا كان عمل المغرب في الحالة الأولى يتمثل في ترجمة ما يقوم به باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية فإن عمل المغرب في الحالة الثانية هو الأ بناء بالشيء الجديد مستعملا مباشرة اللغة العربية. تعد تجربة التعليم بكل مراحله وباللغة العربية تجربة جديدة على المجتمع الجزائري إذ لم يسبق لها مثيل قبل 1962، ولهذا كان أرساء هذه المؤسسات التعليمية صعبة للغاية.

فلم تسبن مثلا سياسة التعليم على الواقع الجغرافي، كما أنها لم تهتم بالظروف الاجتماعية (28) والثقافية، زيادة على الوسائل البشرية

والعلمية والمادية التي لم تكن متوفرة عند بداية التعريب كنقص الاطار العرب وفقدان ارضية لغوية ونعني بهذا المصطلحات اللازمة لتعريب مراحل التعليم المختلفة وغياب الكتاب المدرسي والجامعي النافع . ان افتقاد اللغة العربية مصطلحات حضارية قضية لا يجهلها احد . فالفراغ اللغوي الاصطلاحي موجود في عدة مجالات . لو اخذنا ميدان الملابس مثلا لا كشفنا عجزا كبيرا في الاسماء العربية . وهذا عجز يزداد كلما اخترعت الموضة انواعا جديدة من الثياب واستوردتها البلدان العربية .

يقول محمود تيمور في هذا الموضوع (29)،

« ان الكثرة الغالبة من الفاظ الشؤون العامة ما برحت اجنبية او عامية . ومصادق ذلك ان نطوف في حجرة استقبال او في انحاء مطهى او في غير ذلك مما يتجلى على مسرح الا عين فيستبين ان الكاتب اذا اشتهى وصف ما يرى لم يستطع ان يقع على تسميات عربية دقيقة» .

لو زرنا محلا لتصلح السيارات واستمعنا الى حديث صاحب المحل هذا للاحظنا ان كلامه مليء بالافاظ الفرنسية ويمكن ان نعلل هذا بثلاثة اسباب هي :

- غياب المصطلح العربي الخاص بقطع غيار السيارات (30)
- وجود مصطلحات عديدة ولكنها غير دقيقة اي لا تؤدي المعنى (31)

- جهل صاحب المحل هذا اللغة العربية ومصطلحاتها .

ويؤدي بنا هذا الى التساؤل عن امكانية التكوين المهني والتعليم المتخصص باللغة العربية ، هل هو ممكن ام مستحيل ؟

ونتيجة لقلة الاطار المغرب المتخصص ، والقصور اللغوي الاصطلاحي ، استيقنت اللغة الفرنسية لتدريس مواد التخصص في التعليم الجامعي والتكوين المهني (32)

لقد تعرضت الصحافة ولا زالت تتعرض لتعريب سريع جدا يتماشى والا حداث التي لا تنتظر اذ يجب نقلها الى الجمهور في اسرع وقت ممكن .

ولذلك نرى الصحافي يلجأ الى الترجمة . وعندما لا تتوفر لديه الوسائل اللغوية اللازمة ، يميل الى ترجمة حرفية تزيغ عن المعنى المرغوب اصلا . وقد تؤدي به حاجته الماسة والسريعة والتي هي ايصال الاخبار الى الناس ، الى اختراع الفاظ جديدة تماما (33)

من المصطلحات التي استحدثت وليد الحاجة ، لغة الرياضة (34) التي تستعملها الصحافة الرياضية في كرة القدم او السجماز او غيرها من الرياضات .

يعد الاجتهاد في تاليف وجمع هذا الرصيد اللغوي الرياضي عملا صحافيا بالدرجة الاولى ، اذ جاء وليد الحاجة الملحة لسد الفراغ الذي عانت منه الصحافة الرياضية . فكانت تجربته ايجابية وسريعة .

خلاصة

ان قضية التعريب في الجزائر قضية متشعبة وعويصة وان هو لم ينجح في جميع الميادين فهذا للأسباب العديدة .

السبب الرئيسي انه انطلق من العدم تقريبا . اذ كان الشعب في معظمه اميا يجهل العربية و نجى من هذا الجهل فئة قليلة تكونت في البلدان العربية .

ومن الاسباب ايضا التموجات السياسية والمعارضة القوية التي عانت منها فكرة التعريب .

اضف الى ذلك المدة الزمنية المحددة لتعريب الجزائر كلها فالوقت المخصص لتعريب المجالات الكثيرة قصير جدا . وكان من الاجدى والانفع ان يمهّد التعريب بتخطيط قويم يبسط على سنوات ستدرج وترو .

ومن العراقيل ايضا التي عاقت مسيرة التعريب الوسائل البشرية والمادية .

لقد طبق التعريب بشكل ارتجالي ويبدو هذا الارتجال في الترجمة الحرفية التي نراها هنا وهناك سواء في الادارة او الصحافة وهذا مما اساء الى اللغة العربية وادى الى تدهور مستواها

سيتواح يمينة

المراجع

1) ابوالقاسم سعد الله . الحركة الوطنية الجزائرية « 1930/1900 جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث العربية ، قرار الحاق الجزائر بفرنسا سنة 1834 واختفاء المؤسسات التعليمية بمعني اضطهاد اللغة الوطنية وهي العربية . ولقد اعتبرها الفرنسيون لغة اجنبية ومعنة» ص 65 .

2) احمد بن نعان « التعريب بين المبدأ والتطبيق ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر - الجزائر ؟ 1981 ص 155 .

3) رابح تركي « التعليم القومي والشخصية الجزائرية » الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1981 ، ص 2 (من ص 103 الى 196)

4) احمد بن نعان « التعريب بين المبدأ والتطبيق » ص 156 .

5) Voir l'article de Alya Baffoum " Elite Culturelle et construction nationale dans les Sociétés Maghébines" Revue des sciences Sociales publication du C.E.R.E.S. Université de Tunis N me Année. 2 et 2 trimestre . 1972. P/ 128. 28.29. 2

6) وزارة الاعلام والثقافة « النصوص الاساسية لجهة التحرير الوطنية » 1962/1954 مركب الطباعة الرغبة - الجزائر - 1979 ص 7 ص 12 .

7) احمد بن نعان - التعريب بين المبدأ والتطبيق « ص 166 .

8) احمد بن نعان - التعريب بين المبدأ والتطبيق» ص 166

9) Christiane Souriou " La Politique Algérienne d'Arabisation " Article publié dan s'l'Annuaire de

l'Afrique du Nord . C.N.R.S. Paris. 1976. PP. 363.401.

10) احمد بن نعان « التعريب بين المبدأ والتطبيق » ص 197 .

11) عبد الرحمن سلامة بن الدولية « التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية » مكتبة الشعب - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981 ص 32.

12) احمد الا خضر غزال « المنهجية العامة للتعريب المواكب «بمعهد الدراسات والا بحاث للتعريب، الرابط 1997 ص 17

13) لقد علل بقاء اللغة الفرنسية في الجزائر في النصوص التاريخية وفي « اتفاقيات ايفيان » (باهمية هذه اللغة عندنا من حيث الانتشار وثقافتها الراسخة عند كثير من الناس) انظر كتاب ، بن يوسف بن خدة « اتفاقيات ايفيان ، الديوان الجامعي للمطبوعات ، الجزائر 1986 ، ص 103.

14) احمد بن نعان « التعريب بين المبدأ والتطبيق ص 15 .

15) الميثاق الوطني، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976 ص 65 .

16) انظر مذكرة د . رابح تركي « جهود الجزائر في تعريب التعليم العام والجامعي » 1983.1962 ، ندوة تعليم اللغة العربية الجزائر 7.9 افريل 1984 ، اتحاد الجامعات العربية ، من (ص 7 الى 24)

17) عبد الرحمن سلامة بن الدويمية « التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية ، ص 65 .

18) راجع محاضرة الدكتور بوعلام بن حمودة وزير العدل وحافظ الا ختام في الندوة الوطنية للتعريب المنعقدة بقصر الامم - بالجزائر في 14.05.1975 ، والتي تتضمن قرار تعريب القضائي .

19) قررت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية انشاء لجنة مركزية للتعريب في 19/7/1971 وتكون مهمتها وضع سياسة للتعريب المؤسسات واطارات الوزارة .

20) جاء في الجريدة الرسمية رقم 106 سنة 1970 ، صفحة 1231 قرار وزاري يتضمن تحديد مستويات معرفة اللغة بالنسبة لا طارات الدولة والجامعات المحلية والمؤسسات والهيئات العمومية ابتداء من 01 جانفي 1974

21) رابح تركي « جهود الجزائر في التعليم العام والجامعي ، 1962/ 1983 من ص 7 الى 24

22) المؤسسة الوطنية لا شغال التركيب الكهربائي في قاموس : فرنسي/عربي، الجزائر 1989

23) اللجنة الدائمة للرسيد اللغوي الوظيفي، « الرصيد اللغوي الوظيفي . » جامعات المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) الجزائر 1975 . ط 1 .

24) احمد بن نعان « التعريب بين المبدأ والتطبيق .

25) جاء في المرسوم الرئاسي رقم 98/04/26 نص يقضي، باجبارة

معرفة اللغة العربية على الموظفين، انظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية رقم (36) سنة 7 المنشورة بتاريخ 1968/5/3 ص 350.

26) راجع صفحة 5 من بحثنا هذا.

27) راجع محاضرة الدكتور بوعلام بن حمودة، وزير العدل وحافظ الاخاتم

28) انظر مقال د. عبد الرحمن حاج صالح « اثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية » مجلة اللسانيات ، معهد اللسانيات والصوتيات جامعة الجزائر عدد المجلة 4.74.1973 ص 46

29) محمود تيمور « مشكلات اللغة العربية ، مكتبة الاداب . المطبعة النموذجية مصر ، 1956 ، ص 40

30) نفس المرجع ، ص 40

31) تحتوي مجلات اللسان العربي التي ينشرها مكتب تنسيق التعريب في الرباط على قوائم من المصطلحات، كما تتضمن منشورات وقواميس المجامع اللغوية مفردات حضارية كثير ولكن تعارب على الاكثر منها انها غير دقيقة او غير محرومة اي انها لم تصل الى المستعمل لا سباب عديدة .

32) جعفر الحسيني « نشاط المجتمع السروي للغة العربية » مقال منشور في مجلة اللسان العربي ، مكتب تنسيق التعريب ، م 11 ج 11 الرباط ص 303

33) صالح القرمادي « الترجمة ، من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى »

Journée D'information sur la relation de la langue Arabe et la langue Française-
Sassenage France. 1974p.123.

34) ابراهيم السمراني : « فقه اللغة المقارن » دار العلم للملايين بيروت ، ط 2 ص 285.233